THE CANTERVILLE GHOST

# شبح كانترفيل

## أوسكار وايلد

ترجمة: سارة صلاح عبد الكريم

دارك

فريق متميزون E-BOOK

ترجمات

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

**قام بالتحويل لهذا الكتاب:**

# كلمه مهمة:

**هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.**
**وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.**

**مع تحيات:**

**فريق (متميزون)**

**انضم الى الجروب**

**انضم الى القناة**

# شبح كانترفيل

رواية مترجمة..

أوسكار وايلد

ترجمة: سارة صلاح عبد الكريم

# إهداء

إلى كل من أجبرته الحياة على فعل ما لا يرضى ليبقى عمرًا يصارع من أجل الخلاص والغفران..

أسأل الله أن يرسل لكم مددَه..

لا تتخيلها رواية مرعبة فتصدمك الأحداث بما يخالف كل توقعاتك..

ولا تتخيلها كوميدية، فتصدمك النهاية أيضًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (١)

عندما قرر السيد «هيرام. ب. أوتيس -وزير أميريكا المفوَّض-» شراء منزل «كانترڤيل» أخبره الجميع بأنه تصرُّف أحمق؛ فقد كان معروفًا بما لا يدع مجالًا للشك أن ذلك القصر مسكون.. حتى إن اللورد «كانترڤيل» نفسه- والذي يُعرَفَ عنه الأمانة الشرف- أخبر «أوتيس» قبل أن يقوما بتوقيع العقد.

- يجب أن تعرف يا سيد «أوتيس» أننا رحلنا عن القصر بعد أن تعرضت عمة أبي -دوقة بولتون- لنوبة هلع رهيبة لم تُشفَ منها حتى الآن؛ ففي أحد الأيام بينما تستعد للخروج للعشاء تفاجأت بأحدهم يضع يديه على كتفيها، وقد كانت اليدان لهيكل عظمي! المسكينة لم تتحمل الصدمة.. هذا غير الكثير من أقاربي الذين رأوا الشبح رأيّ العين.. كما رآه «أوجستس دامبير» أسقف الإبرشية والزميل بكلية «الملك» التابعة لجامعة كامبيردج. وقد تركَنَا جميع الخدم بعد الحادثة الأخيرة التي تعرضت لها الدوقة. وإضافة إلى كل ما سمعت، لم تعد السيدة كانترڤيل تستطيع النوم ليلًا بسبب تلك الضوضاء الغامضة التي تحدث في غرفة المكتبة، وفي الممر الذي يؤدي للغرف، كل يوم!

وبعد أن استمع الوزير لكلام السيد «كانترڤيل»، ردَّ عليه قائلًا:

- عزيزي اللورد، سأشتري القصر بما فيه من أثاث، ومعهم الشبح! بالسعر الذي يحدده الخبراء؛ فقد أتيت من بلاد تؤمن بأن كل شيء يمكن شراؤه بالمال! كما أني من الأصل أشك في قصة وجود الشبح تلك؛ فإن كان هناك شبح حقًّا أعتقد أنه لم يكن ليتركه رسَّامونا الشباب الذين يشتعلون حماسًا وقوة محاولين تغيير شكل العالم القديم مفتتحين عالمًا جديدًا ملونًا ومختلفًا، عالمًا مليئًا بالفن بكل أشكاله.. ولكان ذلك الشبح معروضًا الآن في أحد المتاحف أو ربما في أحد الشوارع!

أجابه اللورد «كانترڤيل» مبتسمًا:

- ولكن الشبح موجود بالفعل.. وعدم استطاعة خبرائك الأذكياء العثور عليه لا يعني أنه ليس موجودًا؛ فقد تيقّنا من ذلك على مدار ثلاثة قرون، تحديدًا منذ عام ١٥٨٤، وقد اعتاد الظهور قبيل وفاة أي فردٍ من أفراد العائلة! - حسنًا، هكذا يرى الطبيب الخاص بالعائلة أيضًا.. ولكن في الحقيقة لا يوجد شيء يُدعَى «شبح».. كما أني أعتقد أن قوانين الطبيعة لن تغير مجراها من أجل إرضاء الأرستقراطية البريطانية!

لم يفهم اللورد «كانترڤيل» ما يرمي إليه «أوتيس» بملاحظته الأخيرة، لكنه أجابه:

- إنك حقًّا مواطن أمريكيّ!

على العموم إن كنت لا تمانع وجود الشبح في المنزل فلنمض العقود..! ولكن يجب أن تتذكر أنني حذرتك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد عدة أسابيع تمت عملية الشراء. وفي نهاية الموسم انتقل الوزير «أوتيس» وعائلته للعيش في القصر.

كانت السيدة «أوتيس» قبل زواجها من السيد «أوتيس» واحدة من أشهر جميلات نيويورك، وقد عُرفت ب «سيدة تابان الأولى».. والآن -وهي في منتصف العمر- صارت امرأة أكثر جمالًا وأنوثة. ورغم أن الكثير من السيدات الأمريكيات عندما يأتين إلى أوروربا يحببن ادعاء الإعياء بسبب تغيير الجو، إلا أنها لم تفعل ذلك، بل بالعكس بدت بطلّةٍ بهية ومهيبة.. وفي الحقيقة إن السيدة أوتيس كانت تتمتع بالكثير من الطباع الإنجليزية مدركة تمامًا حقيقة أن الإنجليز والأمريكيون صاروا مشتركين في أشياء كثيرة هذه الأيام.. فيما عدا اللغة بالطبع!

وعن أبناء السيد «أوتيس»، فالابن الأكبر يدعى «واشنطن»، وهو فتى وسيم ذو شعر ذهبي، وقد أسماه والداه بهذا الاسم في لحظة حماس وطنية. كان الفتى متزنًا وعقلانيًّا بشكل كبير، ويتمتع بدبلوماسية أميريكية تمثلت في قيادة الراقصين الألمان ب «كازينو نيوبورت» لثلاث مواسم متتالية، كما اشتهر في أنحاء لندن أيضًا ببراعته في الرقص.. خلاصة كان الشاب رائعًا ولم يكن يعيبه شيء سوى اعتزازه بنفسه أكثر من اللازم.

أما الابنة الصغرى «فيرجينيا» ذات الخمسة عشر عامًا، فقد كانت فتاة جميلة، رشيقة، لطيفة جدًّا، لها عينان زرقاون تشعان حرية وحماسًا وكأنها إحدى الفارسات اللواتي نقرأ عنهن في كتب التاريخ.. وقد خرجت ذات مرة على فرستها الصغيرة في سباق مع «اللورد بولتون» حول إحدى الحدائق القريبة من تمثال «آشلي» وقد فازت عليه سابقة إياه إلى التمثال بمسافة حوالي مترين. وفي هذا اليوم أعجب بها دوق تشيشاير الصغير وتقدم للزواج منها على الفور، إلا أنَّ أوصياءه أعادوه إلى «أتون» في نفس الليلة حزينًا وعيناه تفيضان بالدموع.

وبعد «فيرجينيا» يأتي الصبيان التوأم، وقد كان ثلاثتهم؛ -فيرجينيا وهما- يلقبون بال «النجمة والشرائط»؛ حيث كان الصغيران كثيري الشغب ويتم ضربهما بالسوط أحيانًا فيترك أثرًا -كالشرائط- على جسديهما، ورغم شغبهما إلا أنهما كانا لطيفين ومرحين جدًّا، وإذا استثنينا السيد الوزير من الأمر، يمكننا القول أنهما كانا الوحيدين بالأسرة مَن يؤمنان حقًّا بالمبادئ الجمهورية.

يبعد القصر عن محطة «أسكوت» -وهي أقرب محطة قطار له- حوالي سبعة أميال؛ لذا فقد قام السيد «أوتيس» بطلب عربة تنقلهم إلى هناك.

شعروا وهم في طريقهم بسعادة كبيرة فقد كان الجو رائعًا، حيث تداعبهم نسمات هواء يوليو الناعمة المحمَّلة برائحة أشجار السنوبر.. ومن وقت لآخر كانوا يسمعون هديل الحمام الجميل، أو يلمحون طيور الذيَّال الملونة تلمع بين أشجار السرخس، والسناجب الصغيرة تحدق بهم من بين أخشاب الزان.. أو يرون بعض الأرانب تثب هاربة فوق أخشاب الأشجار الرفيعة أو فوق المرتفعات المكسوة بالطحالب..

كل ذلك جعلهم سعداء بالطريق ومتفائلين بالعيش في لندن.. ولكن.. ما إن بدأوا السير في الطريق المؤدي للقصر حتى اكتست السماء بالسُّحب وسيطر صمتٌ مريب على الأجواء، وفجأة بدأت أحجار صغيرة تطير من فوق رؤوسهم.. وقبل أن يصلوا إلى القصر كان المطر قد بدأ في النزول في هيئة قطرات صغيرة متكتلة..

عندما وصلوا وجدوا سيدة عجوز تقف على السلالم في انتظارهم، كانت ترتدي ثوبًا حريريًّا أسود ومن فوقه مريولًا أبيض، وعلى رأسها قبعة بنفس لون المريول. كانت تلك السيدة هي «إيمني»؛ ربة المنزل والتي بقيت في القصر بعد أن وافقت السيدة «أوتيس» على طلب السيدة «كانترڤيل» بالإبقاء عليها.. ما إن نزلوا من العربة حتى حيتهم السيدة بطريقة مسرحية قديمة، حيث انحنت أمامهم، بينما تقول بطريقة تضاهي طريقة تحيتها في القِدَم:

«مرحبًا بكم في قصر كانترڤيل.»

ثم تقدمَتْهم مجتازة بهم القاعة الفخمة المبنية على طراز (Tudor- تيودور)، حتى وصلوا إلى المكتبة. كانت غرفة المكتبة كبيرة ذات سقف منخفض، وأرضية مغطاة بخشب البلوط الأسود، وفي نهايتها نافذة كبيرة لها زجاج ملوّن.. وقد وجدوا الشاي بانتظارهم. فخلعوا معاطفهم وجلسوا يتأملون المكان، بينما تقف «إيمني» بقربهم حتى إذا ما احتاجوا إلى شيء.

وفجأة، لمحت السيدة أوتيس بقعة حمراء باهتة بالقرب من المدفأة، لكنها لم تستطع تحديد كنهها؛ فقالت ل «إيمني» متسائلة:

- أعتقد أن شيئًا ما قد سُكِبَ هنا!

لتجيبها «إيمني» بصوت خفيض:

- أجل يا سيدتي؛ فقد أريقت بعض الدماء في تلك البقعة.

فصاحت السيدة «أوتيس»:

- ياللبشاعة! قومي بتنظفيها على الفور.. فأنا بالطبع لن أكون سعيدة بوجود بقعة دماء في غرفة الجلوس!

وبنفس نبرة الصوت الخافتة والهادئة لدرجة تصيبك بالريبة، أجابتها «إيمني»:

- إنها دماء السيدة «إلينور كانترڤيل» التي قتلها زوجها «سيمون كانترڤيل» في تلك البقعة تحديدًا عام ١٥٧٥. وبعد مقتلها، بقي السيد «سيمون» على قيد الحياة لمدة تسع سنوات، ثم اختفى فجأة وبشكل غامض وغير مفهوم حتى الآن. ورغم أنه لم يتم العثور على جثته، إلا أن بشاعة روحه بقيت ملازمة للقصر. وقد أعجب الكثير من السياح وغيرهم ممن ارتادوا المكان بتلك البقعة.. وعليَّ أن أخبرك أنها ملتصقة بالأرضية ولا يمكن من إزالتها.

وهنا صرخ «واشنطن» قائلًا:

- ما هذا الهراء! كيف لا يمكن إزالتها! إن منظف «بنكرتون» السحري، قادر على إزالتها في ثوانٍ.. وقبل أن تجيب «إيمني» التي بدت مصدومة من صياحه المفاجئ، كان قد انكفأ على ركبتيه في سرعة وهو ممسك بعلبة تحتوي على مسحوق أسود يشبه مساحيق التجميل، وقام بنثره على البقعة التي اختفت على الفور ولم يعد لها أثر، ليصيح «واشنطن» في انتصار:

- كنت أعرف أن «بنكرتون» قادر على إزالتها.

ولكن ما إن انتهى من جملته، حتى ومض في الغرفة القاتمة ضوءٌ رهيبٌ، ودوّى صوت رعد قوي، جعلهم يهبّون جميعًا واقفين رعبًا.. وخرّت «إيمني» مغشيًا عليها.

- يا له من طقس سيء!

قالها «السيد أوتيس» بينما يشعل سيجاره بكل هدوء، ثم تابع:

- أعتقد أن المدن القديمة صارت مكتظة بالسكان للدرجة التي لم تعد تسمح لساكنيها باختيار الطقس المناسب لهم.. ولطالما قلت إن العلاج الوحيد لمشكلات إنجلترا هو الهجرة منها!

لتصيح «السيدة أوتيس» به قائلة:

- هيرام! ماذا سنفعل لتلك المرأة المغشي عليها؟!

- اخصمي من أجرها كما تخصمين عندما تُكسر قطعة من الأواني، ولن يغمى عليها مرةً أخرى!

وبالفعل، ما هي إلا ثوان حتى استفاقت السيدة «إيمني» التي ما إن اعتدلت حتى قالت للسيد أوتيس بلهجة صارمة محذرة، رغم أنها كانت ما تزال تشعر بالاضطراب:

- يا «سيد أوتيس»، يجب أن تعرف أنك مقبل على مشكلات لا نهاية لها.. لقد رأيت هنا الكثير من الأشياء التي يشيب لها الرأس.. وكم من ليلة بقيت نائمة بعين مفتوحة لهول ما يحدث..!

انتهت من تحذيرها ثم دعت للسيد والسيدة بحفظ الله ورعايته، ولم تنسَ بالطبع أن تفاوضهما لزيادة راتبها.. ثم انصرفت متجهة إلى غرفتها.

لكن السيد أو السيدة «أوتيس» لم يهتزا لكلام «إيمني»؛ حيث أ لديهما إيمان شديد بعدم وجود الأشباح..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٢)

في تلك الليلة لم يحدث شيء محددٌ اللهم إلا بعض العواصف العنيفة التي لم تهدأ طوال الليل.. ولكن في الصباح، عندما نزلوا إلى غرفة الجلوس لتناول الإفطار، وجدوا نفس بقعة الدماء قد ظهرت مجدَّدًا.. وبنفس المكان؛ بالقرب من المدفأة!

- لا يمكن أن تكون المشكلة بمسحوق التنظيف!

هكذا صاح «واشنطن» ثم تابع

- من المؤكد أنه الشبح!

ورغم ذلك أزال البقعة للمرة الثانية، إلا أنهم في صباح اليوم الثاني وجدوها قد ظهرت من جديد.. وكذلك في اليوم الثالث، رغم أن السيد «أوتيس» قد قام -بنفسه- بإغلاق غرفة المكتبة ليلًا آخذًا المفتاح معه إلى غرفته.

بدأ الخوف والترقب يتسربان إلى نفوس جميع أفراد العائلة.. ولأول مرة يعترف «السيد أوتيس» أنه كان متزمتًا في فكرة رفضه لوجود الأشباح.. أما السيدة أوتيس فقد أعربت عن رغبتها في الانضام إلى جماعة تحضير الأرواح.. بينما قام «واشنطن» بتحضير خطابٍ طويلٍ للسادة المسؤولين عن شركة مستحضرات التنظيف مخبرًا إياهم عن بقعة الدماء التي لا تتم إزالتها!

وفي تلك الليلة، انتهت جميع أفكارهم التي تنكر وجود الأشباح.. إلى الأبد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الصباح دافئًا، مشمسًا فقضته الأسرة في القصر، ولكن بحلول المساء بنسماته اللطيفة خرجوا جميعهم لتناول العشاء خارج المنزل ولم يعودوا قبل الساعة التاسعة. وأثناء العشاء لم تتطرق أحاديثهم أبدًا لمناقشة أمر الأشباح؛ فقد كانوا كغيرهم، يعانون من حالة الإنكار تلك التي تسبق ظهور الأشباح! بل -كما عرفت من السيد أوتيس فيما بعد- أن أحاديثهم كانت مجرد مناقشات عادية كتلك التي تدور بين أبناء الطبقة الأمريكية الراقية؛ مثل: تفوُّق ممثلة المسرح «فاني ديفونبور» على «سارة برنهاردت»، صعوبة حصول حتى أفضل البيوت الإنجليزية، على حبوب الذُّرة الخضراء والكيك المصنوع من القمح الأسود، والذُّرة المجروشة، أو عن أهمية ولاية «بوسطن» في تدوير عجلة التطور في جميع أنحاء العالم وأبسط مثال على ذلك ميزة جهاز فحص الحقائب الموجود بمحطات السكة الحديد. وعن مدى روعة اللكنة الأمريكية مقارنة بتلك التي يتشدق بها الإنجليز.. وغيرها من الموضوعات. ولم يتطرقوا قَط إلى ذكر الكائنات الخارقة أو السيد «سيمون دي كانترڤيل».

بحلول الساعة الحادية عشرة كان قد آوى كل فرد من الأسرة إلى غرفته، وفي الحادية عشرة والنصف تم إطفاء جميع أنوار البيت.. ولكن بعد فترة ليست طويلة استيقظ «السيد أوتيس» بفعل ضوضاء غامضة تأتي من الممر القريب من حجرته، كان الصوت يشبه صوت الصلصلة وبدا كأنه

يستمر في الاقتراب.. اعتدل في نومته على الفور وقلبه لا يكف عن الخفقان، نظر إلى الساعة فوجدها تشير إلى تمام الواحدة بعد منتصف الليل.

الضوضاء ما زالت مستمرة.. وضربات قلب السيد أوتيس صارت أسرع.. قام من سريره وانتعل شبشبه، ثم أخذ زجاجة صغيرة من جيب سترته المعلقة في أحد أركان الغرفة، واتجه نحو الباب.. ولكن ما إن فتحه حتى رأى -على ضوء القمر الخافت- رجلًا عجوزًا يقف أمامه.. لم يكن رجلًا عاديًا، كان مشوه الوجه، عيناه حمراوان وكأنهما كرتان من الجمر.. ذا شعر رمادي ملفوف في دوائر، يصل حتى كتفيه.. أما ملابسه -التي تنتمي إلى عصرٍ سحيق- فقد كانت متسخة وممزَّقة.. والأغرب من كل ذلك، كان تلك الأصفاد الحديدية التي تربط بينَ رسغيه وقدميه!

- سيدي العزيز..

قالها أوتيس بهدوء ثم تابع:

- يبدو أنه من الواجب عليّ أن أقترح عليك تزييت تلك الأصفاد لأنها تصدر أصواتًا مزعجة! ومن أجل ذلك جلبت لك زيت «تاماني- Tamany» من ماركة «الشمس المشرقة- Rising sun»، يقال إنه الاختيار الأمثل لمثل تلك الأشياء، فقد أوصى به أشهر الكهنة في بلادنا! سأتركه لك هنا بجوار شموع غرفة النوم، وسيسعدني كثيرًا أن أحضر لك المزيد إذا احتجت إليه.

أنهى السيد «أوتيس» كلامه واضعًا الزجاجة على الطاولة الرخامية، ثم دخل غرفته وأغلق الباب وراءه واتجه إلى سريره من جديد.

وقف الشبح مذهولًا لولهلة، ثم أطاح بالزجاجة بغضب شديد وفرَّ مجتازًا الممر الطويل بينما يصدر أنينًا عاليًا مخيفًا وتشع عيناه ضوءًا أخضر بشعًا.. قطع الممر إلى السلم المصنوع من البلوط والذي يؤدي إلى الأعلى.. وما إن صعده حتى تفاجأ بأحد الأبواب يُفتَح ويظهر من ورائه صبيَّان صغيران يرتديان ملابس بيضاء ممسكين بوسادة كبيرة.. وبدون أي تمهيد ضرباه بها بقوة حتى إنه لم تُتَح له الفرصة للتفكير أو فعل أي شيء؛ فلم يكن أمامه إلا أن يفر هاربًا..

وفجأة تبخَّر مختفيًا من بين الحوائط الخشبية.. ليبدأ الهدوء رويدًا رويدًا، في السيطرة على البيت..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بمجرد وصوله إلى تلك الغرفة السرية الموجودة بالجناح الشرقي للقصر، استلقى في أحد الأركان بمواجهة ضوء القمر الشحيح، يحاول استعادة أنفاسه اللاهثة، واستجماع شتات نفسه.. فلم يسبق له طوال عمله الذي استمر قرابة الثلاثة قرون بلا انقطاع، أن شعر بتلك المهانة والاستهتار!

أخذ يتذكر إنجازاته التي لا تُعَد ولا تُحصَى..

فتذكَّر تلك الدوقة التي تلبَّسها ذات يوم بينما تقف أمام المرآة تستعرض زينتها ومجوهراتها، فأدخلها في نوبة هلع رهيبة.. والأربع خادمات اللواتي أرعبهن بظهوره فجأة من بين ستائر إحدى الغرف المهجورة بالقصر.. كما تذكَّر أسقف الأبرشية الذي أصيب بنوبة هلع يعاني من أثرها حتى الآن.. المسكين، فقد صرعه بظهوره فجأة بعدما أطفأ الشمعة الممسك بها أثناء خروجه من غرفة المكتبة.. ومن يومها وهو يتعالج تحت رعاية السير «ويليام چل».. تذكَّر العجوز «مدام تريمويلاك»

التي استيظقت في صباح يوم ما لتجد هيكلًا عظميًا جالسًا على الكرسي المقابل للمدفأة يقرأ في دفتر يومياتها! بقيت بعدها ستة أيام ملازمة للفراش تعاني من هلوسات حمى شديدة، وبعد أن تعافت قررت الرجوع إلى الكنيسة متناسية جميع أفكار العظيم «فولتير»!

تذكَّر «لورد كانترڤيل» الشرير الذي وُجدَ مختنقًا في غرفة ملابسه، إثر ابتلاعة إحدى ورقات اللعب ووقوفها في منتصف حلقه محدثة اختناقًا لا نجاة منه.. وبجواره تركَ رسالة تحتوي على اعترافه بأنه قد احتال على «تشارلز جيمس فوكس» -باستخدام تلك الورقة- بمبلغ خمسين ألف جنيه إسترليني، مقسِمًا أن الشبح هو الذي دفعه لابتلاعها.

تذكَّر كل أمجاده السابقة، بدءًا من كبير الخدم الذي أطلق النار على نفسه بعدما رأى يدًا خضراء مخيفة تطرق على النافذة، وحتى الليدي «ستوتيفلد» التي اضطرت -ولفترة طويلة- إلى لف شريط أسود حول رقبتها لتخفي آثار الأصابع المحترقة الموجودة عليها، وقد انتهى بها المطاف بأن ألقت نفسها في بِركة الماء الموجودة بنهاية شارع «الملك»..

ما إن تذكرِ كل ذلك حتى ابتسم لنفسه بغرور فنانٍ حقيقي يشعر بمدى عظمته! ولكنَّ سرعان ما محت ابتسامةَ الثقة تلك ابتسامةُ المرارة عندما استعاد المرة الأخيرة التي لعب فيها دور «روبين الأحمر» أو «الطفل المخنوق» وأول مرة لعب فيها دور «جوانت جيبون»؛ مصاص دماء «بيكسلي مور». وتلك الضحكات التي دوت في المكان بمجرد ظهوره في ملعب التنس يلعب «نينبينس ninepins» بيده العظمية!

وبعد كل تلك الإنجازات، يأتي حفنة من الحمقى الأمريكان ليعرضوا عليه زيت «تاماني- Tamany» من ماركة «الشمس المشرقة»، ويضربون رأسه بوسادة غبية!

شيء لا يطاق!

هذا غير أنه ما من شبح – على مَر التاريخ- تم التعامل معه بهذا الأسلوب!

ووفقًا لهذا كله.. بقي حتى مطلع النهار يفكر في كيفية الانتقام من تلك الأسرة.. عاقدًا العزم على أن يريهم كل أشكال الرعب الممكنة.. وغير الممكنة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٣)

في صباح اليوم التالي عندما اجتمعت الأسرة لتناول الإفطار، ناقشوا أمر الشبح، وقد كان السيد الوزير غاضبًا بعض الشيء من رفض الشبح لهديته!

تحدَّث أوتيس قائلًا:

- يجب أن أخبركم أنني ليس لدي أي رغبة في التسبب بأذى شخصي للشبح.. وفيما يخص ما حدث ليلة أمس، إذا أخذنا مدة إقامته بهذا القصر في عين الاعتبار سنجد أنه ليس من الأدب أن نقوم بضربه بالوسادة!

ورغم أن تعليقه بدا معقولًا إلا أن التوأم استقبلاه ضاحكين..

صمت هنيهة ثم تابع:

- وإذا كان قد رفض قبول زيت الشمس المشرقة لتزييت أصفاده، فسيكون علينا أن نحله منها؛ لأننا بكل تأكيد لن نستطيع النوم وسط كل تلك الضوضاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انقضى الأسبوع دون حدوث أي شيء، ولم يحدث قَط ما يجعلهم يشعرون بالإزعاج، اللهم إلا بقعة الدماء التي كانت تتجدد كل يوم، رغم تأكدهم في كل ليلة من إحكام السيد أوتيس -بنفسه- لغلق الباب والنافذة الخاصين بغرفة المكتبة.. ولكن لم يكن بقاؤها وحده هو الشيء المريب في الأمر؛ فقد كانت البقعة متلونة؛ ففي بعض الأحيان تكون أحمر باهتًا، وأحيانًا أخرى أحمر قانيًا أو قرمزيًّا.. وذات يوم عندما نزلت الأسرة إلى المكتبة لأداء الصلاة وِفقًا لتعاليم الكنيسة الأمريكية الإصلاحية الحرة، وجدوها وقد تلونت باللون الأخضر الزمردي.. وهذه التغييرات الكثيرة خلقَت جوًّا من التسلية لدى الأسرة؛ فكانوا في كل يوم يتراهنون على اللون الجديد الذي ستكون عليه في اليوم التالي! الوحيدة التي لم تكن تشاركهم الأمر هي «فيرجينيا» فقد كانت -لسبب غير مفهوم- تشعر بالألفة تجاه وجود بقعة الدم، حتى إنها كادت أن تبكي جزعًا في اليوم الذي تحولت فيه للون الأخضر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الظهور الثاني للشبح في مساء يوم الأحد، حيث استيقظ جميع أفراد الأسرة إثر صوت تهشُّم عنيف قادم من بهو القصر، فنزلوا مسرعين ليجدوا أن إحدى حُلل الفرسان العتيقة التي تزين البهو قد سقطت على البلاط الحجري محدثة هذا الدوي.. في حين وجدوا شبح كانترفيل جالسًا على أحد الكراسي ذات الظهر المرتفع يدلك ركبتيه وعلى وجهه أمارات الألم.

كان التوأم قد أحضرا معهما نبلتيهما، وسرعان ما سدداها تجاه الشبح باحترافية كبيرة لا يجيدها إلا شخص تمرّن كثيرًا على الرمي لمسافات طويلة.. أما السيد «أوتيس» فقد صوَّب مسدسه تجاهه بطريقة أهل كاليفورينا؛ طالبًا منه أن يرفع يديه ويسلّم نفسه..

وثب الشبح صارخًا وهو يتسلل من بينهم كالريح مطفئًا في طريقه شمعة السيد أوتيس، ليتركهم غارقين في ظلمة حالكة.. وما إن بلغ قمة السلم حتى قرر أن يرعبهم بضحكته الشهيرة المرعبة،

والتي لم تخب أبدًا في إخافة أحدهم؛ فلا ينسى كيف أرعبت «اللورد راكر» لدرجة ابيضّ لها شعره المستعار! أو كيف أدى سمعها من قِبل ثلاث من خادمات الليدي كانترڤيل لترك عملهن قبل أن يمضي شهر على بدء خدمتهن.. وبناء على كل ذلك، أطلق أعلى ضحكاته وأكثرها رعبًا على الإطلاق.. ضحكة اهتزت لها جدران القصر..

ولكن كل تلك الثقة والاعتزاز بالنفس سرعان ما تبخرا بعدما فتحت السيدة أوتيس باب غرفتها مرتدية «روب» أزرق، قائلة:

- آه يا عزيزي، يبدو أنك مريضٌ؛ لذا فقد أحضرت لك علبة من محلول «دكتور دوبل- Doctor Dobell"، فإن كان السبب في ذلك الصوت هو عسر الهضم أو شيء من هذا القبيل فسيشفيك هذا الدواء على الفور.

نظر لها الشبح بغضب شديد وعقد العزم على محاولة إرعابها بشكل أقوى، فقرر أن يتحول إلى كلب أسود كبير؛ تلك الحيلة التي اشتهر بها، والتي أدت إلى جنون المبجل «دكتور توماس هورتون» عم اللورد كانترڤيل.. ولكن صوت الأقدام المقبلة نحوه جعله يتردد في قراره.. وكل ما فعله هو أن تحول إلى ضوء فسفوري خفيف وسرعان ما اختفى على الفور مصدرًا صوتًا كأنين سكان المقابر، في نفس اللحظة التي وصل فيها الصبيان الصغيران للأعلى. وصل إلى غرفته وهو يشعر أنه محطم تمامًا، وكأنه قد وقع فريسة للهياج والغضب.. فكيف يتصرف معه التوأم بتلك الطريقة السوقية المهينة! والسيدة أوتيس.. يا إلهي، لقد عاملَتْه بأفظع طريقة ممكنة.. ولكن أكثر ما أغضبه حقيقة هو فشله في ارتداء حُلة الفرسان المعدنية! فمؤكد.. مهما بلغ الأمريكيون من تقدُّم وحداثة، كانت لتسرهم رؤية تمثال لشبح يرتدي زيًّا عسكريًّا! إن لم يكن بحسابات العقل والمنطق، فعلى الأقل وفاء لشاعرهم العظيم «لونجفيلو» الذي سُحرَ هو نفسه بقصائده التي كان يقرأها إذا ما شعر بالملل عندما يذهب آل كانترڤيل إلى المدينة.

هذا غير أنها في الأصل بذلته هو، وله معها ذكريات لنجاحات كثيرة؛ فلطالما ارتداها في بطولات «كينيلورث»، وقد أثنت عليها «الملكة العذراء Virgin Queen-» بنفسها.. ولكن -ياللعار- لقد خفق في ارتدائها الليلة؛ فما إن لبسها حتى جثمت صدريتها الحديدية على صدره، وأثقلت الخوذة رأسه فأسقطته أرضًا لتتورم ركبتاه ويصاب بالكدمات في مفصل يده اليمنى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لزم الشبح غرفته لبضعة أيام يعاني من مرض شديد، ولم يكن يغادرها إلا بصعوبة كبيرة فقط من أجل تجديد بقعة الدم في مكانها المعتاد.

وبعد الكثير من العناية والراحة استعاد عافيته من جديد، ليقرر بدء جولته الثالثة في ترعيب السيد وزير أميريكا المبجل وأسرته.

وقد اختار يوم الجمعة -السابع عشر من أغسطس- للظهور. قضى معظم اليوم يتأمل خزانة ملابسه استعدادًا للأمر. مختارًا لذلك قبعة كبيرة محلاة بريشة ملونة، وكفنًا مزركش الأساور والرقبة، وأحد الخناجر الصدئة.

وبحلول المساء هبت عاصفة مطيرة مصحوبة برياح شديدة اهتزت لها جميع نوافذ وأبواب القصر.. وكان هذا هو الجو المثالي بالنسبة له!

كانت خطته كالآتي: أولًا سيذهب إلى حجرة «واشنطن أوتيس» ويجلس على طرف سريرة مثرثرًا بصوت خافت ثم يطعن نفسه ثلاث طعنات في الرقبة وذلك على خلفية صوت لحن خفيض مقبض. وقد كان يشعر بضغينة أكبر من الباقين تجاه واشنطن لأنه هو من استخدم مسحوق «برنكتون» اللعين لإزالة بقعة الدماء، محولًا إياها لمجال استهتار وسخرية بدلًا من كونها شيئًا مخيفًا. وعندما ينتهي من واشنطن، سيذهب إلى حجرة «السيد أوتيس» وزوجته. وهناك سيضع يده الرطبة الباردة على جبين «السيدة أوتيس» في حين يهمس في أذن الوزير بأحاديث مخيفة كأحاديث المشارح والقبور.

أما «فيرجينيا» فلم يفكر لها في شيء محدد؛ فهو لا يذكر أنها قد أهانته يومًا أو قللت من شأنه، كما أنها فتاة جميلة ومهذبة.. ربما إصدار بعض الأنين الخافت بداخل خزانة الملابس سيكون كافيًا جدًّا -هكذا فكَّر-.. وإن لم يوقظها الأنين، من الممكن سحب اللحاف من فوقها ووخزها بعض الوخزات الخفيفة.

وبالنسبة للتوأم؛ فقد قرر تلقينهما درسًا لا ينسيانه أبدًا؛ مبدئيًّا سيجثم على صدورهما حتى يشعرا باختناق كابوسي مفزع، ثم ما إن يفتحا عيونهما فزعين حتى يرياه واقفًا واضعًا قدميه على طرفي سريريهما المتقاربين في هيئة جثة خضراء متجمدة، قد يشلان من الخوف وقتها.. وبعدها يقوم بنزع الكفن الملتف به، ويدور في الغرفة مُظهِرًا عظامه البيضاء، بينما يلمع بؤبؤ عينه في الظلام مثل شخصية «دانيال الأخرس»؛ الدور الذي لعبه مرارًا وفي كل مرة يكون تأثيره على الآخرين عظيمًا، وهو لا يقل فزعًا عن دور «المجنون مارتن» أو «اللغز المقنَّع».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما دقت الساعة العاشرة والنصف كان جميع أفراد الأسرة قد آووا إلى فراشهم، لكن بقيت ضحكات الصبيين الصاخبة النابعة من قلوب صغيرة لم تعرف الحزن بعد، تتردد في القصر لبعض الوقت.. وفي الحادية عشرة والربع ساد القصر سكونٌ تامٌّ.

ما إن صارت الساعة الثانية عشرة حتى همَّ ببدء خطته، لتظهر البومة من خلف زجاج النوافذ، ويبدأ الغربان في النعيق فوق شجر الصنوبر الموجود بحديقة القصر.. ثم بدأ صوت الرياح يحيط بالمنزل كأنين الأرواح التائهة.. ولكن أيًّا من ذلك لم يقلق نوم أي فرد من أفراد الأسرة، حتى إن صوت شخير السيد الوزير كان يعلو فوق صوت عصف الأمطار!

خرج من مكمنه بخطوات خفيفة متلصصة، وعلى فمه المحاط بالتجاعيد شبح ابتسامة شريرة قاسية.. وحين مرَّ بجوار النافذة التي نُقشَت عليها رسمة لذراعيه وذراعي زوجته القتيلة، بماء الذهب واللازورد الأخضر اللامع، أضفى ضوء القمر على وجهه غيمة مخيفة... سار في طريقه مثل ظِلٍّ شرير تخشاه وتكره مروره الظلمة ذاتها! وللحظة توقف متوهمًا أن أحدًا يناديه، ولكن تبيَّن أنه مجرد نباح كلاب آتٍ من الحقل الأحمر.. فاستمر في طريقه مغمغمًا بكلمات غريبة تنتمي للقرن السادس عشر.

وأخيرًا ها قد وصل إلى الممر المؤدي لغرفة «واشنطن».. إلا انه توقف للحظة عندما حركت الرياح الشديدة لفائف شعره الرمادي بقوة، وجعلت كفنه الأبيض يتطاير بشدة مشكِّلًا مشهدًا خرافيًا مرعبًا.. ثم دقت الساعة الثانية وخمس عشرة دقيقة فشعر أن الوقت قد حان للبدء.. ولكن ما إن انعطف من الممر متجهًا إلى الحجرة المنشودة حتى تراجع مرتعبًا واضعًا يديه العظميتين على وجهه!

فقد تفاجأ بشبحٍ شنيع يقف أمامه وكأنه نحت لتمثال بشع قد لا تراه حتى في أسوأ كوابيسك؛ ذو وجه أبيض مستدير، رأسه الصلعاء تلمع في الظلام، على وجهه ابتسامة واسعة مخيفة كابتسامة الشياطين والأبالسة.. تشع من عينيه أشعة شديدة الحُمرة، أما فمه فقد بدا كقطعة واسعة من الجحيم.. يرتدي كفنًا أبيض يشبه الذي يلبسه، وعلى صدره وضِعَت لوحة مكتوب عليها بحروف غريبة تنتمي إلى لغة صعب فهمها؛ فبدت له وكأنها سجل خزيه وعاره.. أو سجل جرائمة التي لا تغتفر!! أما يد التمثال اليمنى فقد كانت مرفوعة لأعلى ممسكًا بها سيفًا فولاذيًّا لامعًا.

لم يحدث أن رأى شبحًا من قبل؛ لذا فقد كان مرتعبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبعد أن ألقى لمحة سريعة على التمثال فرَّ هاربًا إلى غرفته، وفي طريقه تعثر في كفنه الذي التف حوله وأسقطه أرضًا ليقع منه الخنجر الصدئ -الذي وجده الخادم في صباح اليوم التالي داخل حذاء السيد أوتيس-.. وبمجرد أن وصل غرفته ألقى بنفسه على السرير الصغير الموجود بأحد أركان الحجرة وهو يشعر بالخزي والعار.. إلا أنه بعد قليل من الوقت، استعاد الروح الشجاعة التي يتمتع بها آل كانترڤيل، وعقد العزم على أن يذهب للحديث مع الشبح الآخر ما إن يحل الصباح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما إن أرسل الفجر ضوءه الأبيض حتى تحرَّك الشبح متجهًا إلى حيث الشبح الآخر، مفكرًا بينه وبين نفسه أن وجود شبحين مؤكد سيكون أفضل من شبحٍ واحدٍ.. كما أن صديقه الشبح الجديد ربما يعينه في صراعه مع التوأم فينتصرا عليهما! ولكن ما كادَ يصل إلى مكان وجود الشبح الآخر حتى اتسعت عيناه من هول المفاجأة!

وجد التمثال مائلًا على الحائط في وضع غريب، وانطفأ شعاع عينيه تمامًا. كما وجد السيف الفولاذي واقعًا على الأرض، فهمَّ ليمسكه ويعيده إلى يده، ولكنه توقف مرتعبًا حيث سقطت رأس التمثال وتدحرجت أمامه على الأرض! وفي غمره هذا كله، وجد تلك الستائر البيضاء الخاصة بغرف النوم ملفوفة حول جسد التمثال، لم يستطع أن يفهم سر هذا التحول الرهيب، وبسرعة جنونية أمسك باللوحة، ليقرأ ما كُتبَ عليها وكان الآتي:

كاد يسقط مغشيًا عليه من هول ما شعر من غضب؛ فقد فهم أنه قد تم خداعه والاستهزاء به.. وهنا استعاد إلى نفسه كل غضب وعزيمة آل كانترڤيل الأشرار، جزَّ على أسنانه حتى كاد يبتلعها.. أو بمعنى أصح كاد أن يبتلع لثته، فليس لديه أسنان.. وأقسم بلُغة الأشباح العتيقة -تلك التي كانت في قصص الخرافات في العصور السابقة- إنه ما إن يُطلِق ديك النهار صياحه مرتين حتى تكون دماء القتلى قد ملأت القصر..

ما كاد ينتهي من قسمه البشع ذلك حتى ران إلى سمعه صياحُ ديكٍ يأتي من بعيدٍ، فضحك ضحكة خفيضة مريرة.. وانتظر أن يكرر الديك صياحه.. ساعة.. وراء ساعة.. والديك -لسبب لا يعلمه أحدٌ- لم يكرر صياحه!

حانت الساعة السابعة والنصف ولم يسفر ترصُّده عن شيء، وبدأت خادمات القصر في الاستيقاظ فاضطر أن يعود إلى غرفته وهو يشعر بخيبة قَسَمه الباطل وعزمِه المهدور.. فقرَّر أن يتصفح العديد من كُتب الأساطير القديمة الخاصة بالأشباح، فوجدَ أنه في جميع المرات التي تردَّد فيها هذا القَسَم صاح الديك مرتين.. فتمتم محدِّثًا نفسه:

«ويل لذلك الديك اللعين.. كيف يفعل بي ذلك وأنا الذي كنت في الماضي أستطيع أن أسدد رمحي في حلقه مجبرًا إياه على الصياح حتى وإن كان يحتضر!»

ثم آوى إلى نعش وثير من الرصاص ونام فيه حتى المساء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٤)

في اليوم التالي كان الشبح يشعر بالضعف والإنهاك وكأن كل ما ألمَّ به في الأيام الماضية من أحداثٍ عصيبة قد بدأ تأثيره في الظهور الآن؛ فقد تحطمت أعصابه تمامًا حتى إن أضعف الأصوات صار يزعجه ويسبب له الضيق والتوتر.. ولخمسة أيام بقي ملازمًا غرفته لا يغادرها مطلقًا، حتى بقعة الدماء التي كان يجددها كل يوم على أرضية غرفة المكتبة، صرف ذهنها عنها مخبرًا نفسه بأنه إذا كانت عائلة أوتيس لا تريد وجودها فهم لا بكل تأكيد لا يستحقونها! فقد بدا أنهم أناس على مستوى منخفض من الرقي المادي والمعنوي جعلهم غير قادرين على استيعاب قيمة تلك الظواهر الحسية وتقدير قيمتها.

أما بخصوص مسألة ظهور الأطياف وتطوُّر الأجسام الوهمية فمؤكد هي مسألة مختلفة تمامًا عنه كما أنها ليست من ضمن اختصاصاته.. ولكن مما لا شك فيه أن الظهور في الممر مرة كل أسبوع، والتمتمة عبر النافذة الزجاجية في الأربعاء الأول والثالث من كل شهر، كانا من ضمن واجباته المقدسة.. ولكن كيف له الآن أن يتخلى -بشرف- عن كل التزاماته تلك!

صحيح أن حياته كانت مليئة بالتصرفات الشريرة، ولكنه أيضًا كان يتصرف في كل شيء وفقًا لما يمليه عليه ضميره كشخص خارق! ووفقًا لذلك، فقد التزم في أيام السبت الثلاثة التالية باجتياز الممر في الأوقات من منتصف الليل وحتى الثالثة صباحًا وهو متخذ جميع احتياطاته لكي لا يراه أو يسمعه أحدٌ؛ فقد كان يخلع حذاءه ويسير على أطراف أصابعه دون أن يُحدِث أي صوت على الأرضية الخشبية، بينما يرتدي عباءة سوداء واسعة.. كما حرص جيدًا على استخدام زيت «الشمس المشرقة» حتى لا تُحدث أصفاده صوتًا! ويجب عليَّ أن أعترف بأنه قد لاقى صعوبة كبيرة في إقناع نفسه بطريقة الحماية تلك.

وفي إحدى الليالي انتهز فرصة ذهاب عائلة أوتيس لتناول العشاء بالخارج وتسلل إلى حجرة «السيد أوتيس» وسرق زجاجة الزيت الأخرى.. وقد شعر في البداية ببعض المهانة والإذلال، إلا أنه سرعان ما نظر للأمر بعقلانية واعترف أن ذلك الزيت هو اختراع جيد بحق وقد أدى الغرض منه بشكل رائع.. ورغم كل تلك الاحتياطات لم يسلم من الإهانة والتعرض لقلة التهذيب؛ فقد كان دائمًا ما يتعثر في الظلام بالخيوط الممتدة في الممر والتي أوقعته أكثر من مرة، وفي إحدى المرات بينما كان يرتدي الزي الخاص بشخصية «إسحق الأسود» أو «هانتسمان» من Hogley Woods، وقعَ وقعةً عنيفة إثر تزحلقه بقطع الزبدة التي نثرها التوأم بدءًا من أعلى السلّم المؤدي لغرفته وحتى غرفة النسيج .

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تلك الإساءة الأخيرة -الخاصة بحادثة الزبدة!- أثارت غضب الشبح بشدة، فقرر أن يشحذ قوته من جديد لي كي يثأر لكرامته ومكانته في المجتمع، واعتزم الأمر على أن يظهر في الليلة التالية لهذين الصبيين الوقحين مرتديًا زِي «روبرت المجازف أو النبيل مفصول الرأس- Reckless Rupert Headless Earl.

فهو لم يظهر في هذا الزي منذ سبعين عامًا تقريبًا، أو.. في الحقيقة.. منذ ذلك اليوم الذي أفزع فيه السيدة الجميلة «الليدي باربارا»؛ خطيبة جد لورد «كانترڤيل» الأخير، والتي فسخت خطبتها منه على الفور وهربت إلى إبرشية «جرتنا جرين» مع الشاب الوسيم «جاك كاستلون» معلنة أنه ليس هناك شيء في هذا العالم قد يدفعها للزواج من أحد رجال عائلة تسمح لشبح دميم أن يتمشى في الشرفة وقت الشفق!

وبعدها مباشرة مات المسكين «جاك» قتيلًا أثناء مبارزة تمت بينه وبين «لورد كانترڤيل» في حديقة «واندسوورث».. وقبل أن ينقضي العام، كانت «الليدي باربارا» هي الأخرى قد ماتت في مقاطعة « تانبريدج ويلز» إثر تعرضها لسكتة قلبية.. في كل الأحوال، كان ذلك أحد النجاحات الساحقة في تاريخ الشبح بلا شك!

وقد كان الاستعداد للظهور بتلك الشخصية صعبًا للغاية، فهي تحتاج إلى «مكياج» غاية في الصعوبة – هذا إن كان مسموح لي باستخدام مصطلح مسرحي للتعبير عن شيء يخص عالم الخوارق الطبيعية، أو حسب ما يسميه أهل العلم «عالم ما وراء الطبيعة».. استغرق أكثر من ثلاث ساعات كاملين في عمل استعدادته الخاصة بالشخصية وأصعبها بالطبع كما ذكرنا كان «المكياج».

وأخيرًا صار كل شيء جاهزًا، وقد كان معجبًا بنفسه جدًّا.. صحيح أن أحذية السبَق الجلدية التي جاءت مع رداء الخيل كانت كبيرة على قدميه قليلًا.. وصحيح أنه لم يجد سوى واحد فقط من مسدسي الخيل، إلا أنه رغم ذلك كان راضيًا عن نفسه تمامًا.

في تمام الساعة الواحدة والربع، انزلق من مكمنه متسللًا إلى ممر القصر الخاص بالغرف.. وما إن وصل إلى الغرفة الخاصة بالتوأم – والتي يجب أن أذكر أنها كانت تُعرَف بالغرفة الزرقاء نظرًا للون ستائرها- كان الباب مواربًا.. ورغبة منه في دخوله دخولًا مؤثرًا، دفع الباب بشكل مفاجئ ليُفتَح على مصراعيه.. ولكن.. بمجرد أن فعل، حتى انسكب فوقه إبريق من الماء بلَّل جسده بأكمله، وقد كاد أن يصيب الإبريق كتفه الأيسر لولا أنه سقط على بعد بوصات قليلة منه.. ليسمع في نفس اللحظة ضحكات قوية مكتومة آتية من السرير ذي الأربع أعمدة.. كانت الصدمة أكبر من أن تتحملها أعصابه، ففرَّ إلى حجرته بأسرع ما يمكنه.. وفي اليوم التالي بقي طريح الفراش يعاني من حمى شديدة.. وكان عزاؤه الوحيد في كل ما حدث أنه قد ذهب إلى غرفة الصبيين برأسٍ مستعار، لولا ذلك لكانت العواقب خطيرة للغاية.

وأخيرًا.. فقدَ الأمل تمامًا في إخافة تلك الأسرة الأمريكية الوقحة، مقنعًا نفسه بالقواعد الجديدة التي يجب أن يتبعها في التجول داخل القصر: سيسير في الممر على أطراف أصابعه منتعلًا شبشبا خفيفًا، كما سيرتدي كوفية حمراء حول عنقه اتقاء للبرد، وسيصحب معه مسدس نبالٍ صغيرًا حتى إذا ما هاجمه التوأم.

آخر ضربة قد تلقاها كانت في التاسع عشر من سبتمر؛ حيث نزل إلى بهو القصر شاعرًا أنه سيكون هناك أقل عُرضة لقلة التهذيب، وقد أخذ يسلي نفسه بعمل رسومات ساخرة على الصور الكبيرة التي صوَّرها «ساروني) نفسه للسيد الوزير «أوتيس» وزوجته والتي تحتل الآن نفس الأماكن التي كانت تحتلها صور عائلة «كانترڤيل».

كان رداء الشبح في ذلك اليوم بسيطا، لكن مرتب؛ فقد ارتدى كفنًا أسود مرصعًا بنقط خضراء، بينما كمم فمه بشريط من الكتان الأصفر، وأمسك بفانوسٍ وجاروف كبير. باختصار: كان يرتدي الزي الخاص بشخصية «جونز الذي لا قبر له- Jonas the Graveless» أو «خاطف الجثث الذي يسكن جرن تشرتسي- Corpse-Snatcher of Chertsey Barn»؛ واحدة من أفضل الشخصيات التي برع فيها، والتي جسَّدها يومًا أمام آل كانترڤيل، ولم ينسوها قَط؛ فقد كانت سبب القطيعة بينهم وبين جارهم «اللورد رافورد». في حوالي الساعة الثانية والربع – في ذلك اليوم- بينما كان متأكدًا من عدم وجود مَن يتبعه أو يراقبه، وبعدما انتهى من العبث ببهو القصر، اتجه إلى غرفة المكتبة ليطمئن على حال بقعة الدماء التي أهملها منذ وقت طويل.. ولكن.. فجأة.. انقضَّ عليه الصبيان من أحد الأركان المظلمة، بينما يحركان أياديهما بحركات مخيفة أمام وجهه، صارخين في أذنه بصوت واحد: «بووو»!

وكان من الطبيعي تحت وطأة ذلك الفزع الرهيب أن يفر على الفور إلى السلالم المؤدية إلى غرفته، لكنه تفاجأ بالسيدة أوتيس تنتظره هناك ممسكة بالمحقنة الكبيرة الخاصة بالحدائق.. لقد صار محاطًا بأعدائه من كل جانب ولا يعرف أين المفر.. لم يجد أمامه سوى المدخنة الحديدية الضخمة التي لحسن حظه لم تكن موقدة، واضطر لشق طريقه إلى غرفته من خلال المداخن المشحمة.. ليصل إليها وهو في حالة رهيبة من الاتساخ والفوضى.. واليأس..

لم يره أحد بعد ذلك يتجول ليلًا، حتى إن التوأم بقيا في انتظاره كل ليلة ناثرين قشر الجوز على أرضية الممر مما أزعج السيد أوتيس وزوجته، والخدم أيضًا، إلا أن مجهودهما ذَهبَ سدى.. وكل ذلك كان بلا جدوى..

وقد بات جليًّا أن مشاعر الشبح قد جُرِحَت لدرجة لن تجعله يظهر ثانية.

وبناء على ذلك، استأنف «السيد أوتيس» العمل على كتابه عن تاريخ الحزب الديمقراطي والذي ابتدأه منذ بضعة أعوام. «نظمت السيدة أوتيس» العديد من الولائم التي أزهلت جميع سكان المدينة. كما عاد الصبيان إلى ألعابهما الأمريكية المعتادة بكروت الكوتيشنة وغيرها، وبدأت فيرجينيا في الخروج إلى التنزه على مهرتها الصغيرة بصحبة دوق تشياشير الصغير الذي جاء لتمضية آخر أسبوع بعطلته في قصر كانترڤيل.

ظنَّ الجميع أن الشبح قد رحل إلى الأبد، حتى إن السيد أوتيس قام بكتابة خطاب إلى «السيد كانترڤيل» يخبره بذلك الأمر؛ مما أسعد الأخير كثيرًا وردَّ عليه ليهنئه بذلك الخبر السعيد، مرسلًا تحياته له ولزوجته «السيدة أوتيس».

كانت أسرة «السيد أوتيس» مخدوعة بالطبع؛ فالشبح ما زال موجودًا بالقصر، صحيح أنه ليس مستعدًا بَعد للهجوم بكل قوته، إلا أنه لم يستطع نسيان الأمر والاستمرار في الهدنة أكثر من ذلك، خاصة بعدما عرفَ بوجود دوق تشياشير الذي يكون عم أبيه هو اللورد «فرانسيس سيتلون» الذي تراهن يومًا مع «الكولونيل كاربري» بمقدار مئة جنيه على أن يلعب النرد مع شبح كانترڤيل، ليجدوه في اليوم التالي ملقيًا على أرضية غرفة الورق يعاني من شلل تام أعجزه عن النطق بأي شيء سوى كلمة «دوش»! وقد استمر الشلل معه إلى نهاية عمره الطويل.

وقد ذاع صيت تلك القصة وقتها، لكن حاول الجميع -احترامًا لمشاعر العائلتين الكريمتين- إخفاء تلك القصة قدر المستطاع.. ولكن من يريد أن يعرف القصة كاملة يمكنه الاطلاع على المجلد الثالث من مذكرات «اللورد تاتل- ذكرياتي مع الأمير ريجنت وأصدقائه».

ووفقًا لكل ذلك كان من الطبيعي أن يهتم الشبح بإظهار قدرته أمام حفيد «اللورد فرانسيس» ليثبت لعائلة «سيتلون» أنه لم يفقد بريقه بَعد.. وفي الحقيقة كان يربطه بتلك العائلة صلة قرابة بعيدة؛ حيث تزوجت ابنة عمه -زيجتها الثانية- من السيد «دي بوكللي» والذي كان معروفًا أن ينحدر من عائلة «سيتلون».

لذا فقد قرر إعداد ترتيباته للظهور لذلك الصغير حبيب فيرجينيا! مختارًا لذلك زِي «الرهب شارب الدماء أو الناسك الخالي من الدماء في دير القديس بندكت - The Vampire Monk, or the Bloodless Benedictine، تلك الشخصية المرعبة التي ما إن رأتها العجوز «ليدي ستارتب» يوم رأس السنة عام ١٧٦٤حتى دخلت في نوبة عنيفة من الصراخ أدت إلى إصابتها بحالة صرع شديدة تسببت في وفاتها بعد ثلاثة أيام. وقد حرمت آل كانترڤيل من ميراثها، موصية به للطبيب الصيدلي الذي كان يمدها بالدواء من لندن.

ولكن بعد أن أتم استعداده، تراجع في اللحظة الأخيرة وقد منعه رعبه من التوأم أن يغادر غرفته!

لينام الدوق الصغير في سلام تحت المظلة الفاخرة المصنوعة من الريش، داخل الغرفة الملكية.. بينما يحلم بالجميلة «فيرجينيا»!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٥)

بعد ذلك ببضعة أيام، خرجت فيرجينا بصحبة فارسها ذي الشعر المجعد ليتجولا على مهريهما في مراعي «بروكلي»، وبينما تعدو من فوق أحد السياج تمزق ثوبها؛ فقررت العودة إلى المنزل، ودخول القصر عن طريق السلالم الخلفية؛ حتى لا يراها أحد.. وأثناء مرورها أمام غرفة النسيج- التي كان بابها مفتوحًا دائمًا- لمحت أحدًا بالداخل، ظنت أنها الخادمة الخاصة بوالدتها، فقد اعتادت على المكوث في تلك الحجرة كلما احتاجت إلى إنجاز قطعة من شغل الإبرة، ففكرت أن تدخل لتطلب منها إصلاح ثوبها.

ولكن، كانت صدمتها كبيرة حين رأت أن مَن بالداخل هو «شبح كانترڤيل» نفسه، كان يجلس إلى النافذة يشاهد الأشجار التي يحركها الهواء في نعومة، بينما تتطاير بعض أوراقها الحمراء في الهواء لترسو في النهاية على الأرض بطول الطريق المليء بأوراق الشجر.. ليشكل ذلك كله مشهدًا بديعًا..

كان يستند بخده على يده، وقد بدا محبطًا جدًّا.. أو بمعنى أصح بائسًا إلى حدٍّ كبيرٍ وكأن كل محاولاته لإصلاح ذاته قد باءت بالفشل.

أول ما فكرت فيه فيرجينيا هو الفرار إلى حجرتها وإحكام إغلاقها، ولكن غلبها شعورها بالشفقة عليه فعزمت على أن تتحدث معه محاولة أن تخفف عنه بعض آلامه..

ولرقة خطواتها، وعمق حزنه وشروده، لم يشعر بوجودها إلا عندما تحدثت إليه

- إني آسفة حقًّا لأجلك، ولكنّ لا تبتئس إن أخويّ سيعودان إلى «إتون» غدًا.. وإذا هذبت من نفسك لن يضايقك أحد أبدًا.

- إنه لأمر سخيف أن يطلب مني أحدٌ تهذيب نفسي أو تحسين سلوكي!

قالها بينما يستدير لينظر إلى وجه تلك الجميلة الصغيرة التي تجرأت على مخاطبته، ثم تابع:

- بل منتهى السخف أن تطلبي مني ذلك.. فيجب عليَّ أن أسير مصلصلًا بأصفادي الحديدية.. أن أصدر أنيني المخيف عبر فتحات مفاتيح الأبواب.. يجب أن أتمشى ليلًا في أنحاء القصر.. فإن كان التوقف عن كل ذلك هو ما تقصدينه بشأن التهذيب.. فيجب أن تعلمي أنه السبب الوحيد لبقائي هنا.

- ليس هناك سبب لتواجدك هنا من الأصل، وأنت تعرف جيدًا أنك شخص شرير، فقد أخبرتْنَا السيدة «إيمني» في أول يوم جئنا فيه إلى القصر أنك قد قتلت زوجتك.

أجابها بتحدٍّ:

- أعترف بذلك تمامًا.. لكنه أمرٌ عائلي بحت ولا يخص أي شخص آخر.

- أيًّا كانت الظروف، إنه لخطأ كبير أن تقتل أي شخص.

قالتها فيرجينيا التي كانت تُظهِر من وقتٍ لآخر بعض الأفكار البروتستانتية المتزمتة التي ورثتها عن واحد من أجدادها كان يعيش في «نيو إنجلاند».

- آه كم أكره تلك الأخلاقيات المجردة الرخيصة! لقد كانت زوجتي زوجة سيئة، فلم تهتم يومًا بثيابي أو بطعامي.. أذكر أنني في أحد الأيام قمت بصيد أحد الظبيان من غابات «هوجلي» وأحضرته لها، أتعرفين ماذا فعلت به؟

أيًّا كان.. كل ذلك ليس مهمًا الآن، فما حدثَ قد حدثَ.. كما أني أعتقد أنه لم يكن شيئًا رائعًا أن يقتلني إخوتها جوعًا لأني قتلتها!

- أوه سيدي الشبح.. أقصد «السير سيمون».. هل أنت جائع الآن؟ لدي شطيرة في حقيبتي، هل آتيك بها؟

- لا، أشكرك، فأنا لم أعد آكل أي شيء الآن. ورغم ذلك فهذا لطف كبير منكِ.. إنك مختلفة عن باقي عائلتك البغشة، المبتذلة، السفيهة، التي تعرف شيئًا عن الأمانة.

وهنا صرخت فيرجينيا في وجهه قائلة

- اخرس.. إنك أنت البشع السفيه المبتذل.. كما إنك أنت غير الأمين أيضًا! لقد سرقتَ الألوان الخاصة بي لتصقل بها بقعة الدم السخيفة الموجودة بغرفة المكتبة.. في البداية أخذت جميع الأقلام الحمراء، بما في ذلك القرمزية، فلم أعد قادرة على رسم مشهد غروب الشمس.. ثم أخذت الأخضر الزمردي والأصفر الفاقع، وفي النهاية لم يتبقَ لي سوى الأزرق النيلي والأبيض الصيني، اللذين لا يمكنهما رسم شيء سوى مشهد ضوء القمر، الذي كان دومًا مشهدًا كئيبًا، هذا غير كونه صعب الرسم من الأصل!

ورغم أنني كنت غاضبة جدًّا إلا أنني لم أخبر أحدًا.. لقد كان الأمر برمته سخيفًا منذ البداية، فهل سمع أحدٌ من قبل عن بقعة دماء بلون الأخضر الزمردي!

- معك حق.

قالها الشبح بخنوع ثم تابع:

- ولكن ماذا كان عليَّ أن أفعل؟ فالحصول على دماء حقيقية أمرٌ صعب هذه الأيام.. كما أن أخوك هو مَن بدأ كل شيء عندما استخدم منظف «بنكرتون» العجيب ليزيل بقعة الدماء، فلم أجد حينها ما يمنعني من استخدام أقلامك الملونة.. أما بالنسبة للون فهي مسألة متعلقة بالذوق! فمثلًا – نحن عائلة كانترڤيل- دماؤنا زرقاء، أكثر الدماء زرقة في إنجلترا! لكنكم أنتم الأمريكيون لا تهتمون بمثل تلك الأمور.

- أنت لا تعرف أي شيء عنَّا، وأفضل ما يمكنك فعله هو الذهاب إلى هناك، وأعتقد أن أبي بإمكانه مساعدتك في ذلك، دون أن يكون عليك دفع أي تكاليف، رغم أن تكلفة نقل الأرواح بجميع أنواعها عالية، إلا أن جميع ضباط الجمرك من أعضاء الحزب الديمقراطي، فلن يكون الأمر صعبًا على أبي بأي حال.

وما إن تطأ قدماك نيويورك حتى تجد المستقبل أمامك فسيحًا، فأنا أعرف أناسًا كثيرين هناك قد يدفعون مائة دولار مقابل الحصول على جدٍّ، وقد يدفعون أكثر من ذلك بكثير للحصول على شبح خاص بالعائلة!

- لكني لا أعتقد أن أميريكا ستناسب ذوقي.

ردَّت عليه فيرجينيا بتهكم:

- ربما حقًّا لن تناسب ذوقك، لخلوها من الأطلال والغرائبيات.

أجابها الشبح قائلًا:

- أليس لديكم أطلال ولا غرائبيات! أنسيتِ قواتكم البحرية، بل وسلوكياتكم أيضًا!

- عمت مساءً.. سأذهب إلى أبي وأطلب منه أن يمد إجازة التوأم لأسبوع آخر!

وهنا صاح متوسلًا:

- آنسة فيرجينا، أرجوكِ لا تذهبي، فأنا وحيد جدًّا وحزين.. ولا أعرف حقًّا ماذا أفعل.. حتى إنني أريد أن أنام لكني لا أستطيع.

- هذا غير معقول على الإطلاق؛ فمجرد أن تطفئ الشمعة وتستلقي في سريرك سيكون من الصعب أن تبقى مستيقظًا. كل شخص في استطاعته أن ينام، حتى الأطفال يعرفون كيف ينامون، فالأمر لا يحتاج إلى مهارة كبيرة.

أجابه الشبح بحزنٍ شديدٍ:

- لكني لم أنَم منذ ثلاثمائة عام.. لثلاثمائة عام وأنا يقظ لا يمكنني النوم.. أنا حقًّا تعب.

اتسعت عينا فيرجينيا الزرقاوان من شدة المفاجأة، وشعرت بالأسى تجاهه، فتقدمت نحوه وجلست أمامه على ركبتيها لتنظر إلى وجهه الذابل قائلة بشفتين ترتعشان كأوراق شجرة وردية:

- كم أنت بائس وحزين يا عزيزي الشبح.. أليس لديك أي مكان يمكنك النوم فيه؟

أجابها في صوت حالم منخفض:

- هناك فقط..

بعيدًا عن أشجار الصنوبر، توجد حديقة صغيرة ينبت فيها العشب الطويل بغزارة، وتنبت فيها الزهور البيضاء السامة فتبدو وكأنها نجوم متلألئة.. هناك حيث يغني العندليب طوال الليل.. طوال الليل لا يكف العندليب عن الغناء.. بينما يطل القمر البلوري، وتفرد شجرة الطقسوس أذرعها العملاقة لتحضنتن النائمين.

تأثرت فيرجينا كثيرًا فدفنت وجهها بين كفيها بينما تمتلئ عيناها بالدموع، وقالت هامسة - إن ما تتكلم عنها هي حديقة الموت.

- نعم.. الموت.. مؤكد أن الموت جميل.. أن يستلقي المرء على الأرض الطينية الناعمة بينما يلوح العشب الأخضر فوق رأسه وهو يستمع إلى الصمت.. ألَّا يعود هناك أمس أو غد.. أن ينسى المرء الوقت والحياة لينعم فقط بالسلام..

وأنتِ تستطيعن إنقاذي؛ فيمكنك أن تفتحي لي بوابات الموت.. فأنتِ مليئة بالحب.. والحب أقوى من الموت..

ارتعشت فيرجينيا وشعرت بقشعريرة باردة. عم الصمت للحظات حتى إنها شعرت لوهلة أنها بداخل حلم مزعج.

ثم تحدَّث الشبح من جديد بصوت كأنين الرياح:

- هل قرأتِ من قبل النبوءة المكتوبة على نافذة حجرة المكتبة؟

صاحت فيرجينيا:

- نعم قرأتها كثيرًا، رغم أنها مكتوبة بحروف غريبة صعبة الفهم، لكني استطعت قراءتها، فهي عبارة عن ستة أسطر:

«عندما تستطيع فتاة لها شعرٌ كالذهب

استخلاصَ الصلوات من بين شفتيِّ آثمٍ

وعندما تُثمِر شجرة اللوز العقيمة

وتذرف طفلة بريئة دموعَها

وقتها فقط.. يمكن أن يعم السكون

ويحل السلام على قصر كانترڤيل»

لكني لا أفهم معناها.

أجابها بحزنٍ - إنها تعني، أنك يجب أن تبكي معي على خطيئتي لأني لا أستطيع البكاء، وتصلي داعية من أجل روحي لأني ليس لدي إيمان، وإذا كانت حياتك الماضية مليئة بالرقة والطيبة والحنان، وقتها سيرحمني ملاك الموت.. سترين مخلوقات مخيفة في الظلام، وتسمعين أصواتًا شريرة تهمس في أذنك لكنهم لن يستطيعوا أبدًا أذيتك؛ فقوى الشر جميعها لا يمكنها الصمود أمام براءة الأطفال.

لبعض الوقت لم ترد عليه فيرجينيا بأي شيء، وأخذ هو يعصر يده في يأسٍ كبير بينما يتأمل رأسها الذهبي المنحني.

وفجأة، هبَّت فيرجينا واقفة يبدو على وجهها الشحوب، وفي عينيها بريق غريب، قائلة بإصرار:

- لستُ خائفة، وسوف أسأل ملاك الموت أن ينزل عليك رحمته.

نهض الشبح من مكانه وهو يصرخ فرحًا، ثم انحنى وأمسك بيديها بطريقة مسرحية قديمة وقبَّلها شاكرًا.

كانت أصابعه باردة كالثلج وشفاهه ساخنة كالحريق، لكن فيرجينا لم تخف وهي تسير وراءه مجتازين الحجرة الكئيبة. وكان على البساط المزخرف الموجود على الحائط تطريز لصيادين صغار يمسكون بنبالهم، فاخترق الصيادون النسيج بأياديهم الصغيرة وأخذوا يلوحون لها صائحين:

«عودي يا فيرجينيا.. ألا عودي أيتها الصغيرة فيرجينيا..»

ولكن الشبح أحكم قبضته على يدِها مطمئنًا، فأغمضت عينيها عنهم.

بينما برزت لها من المدخنة حيوانات لها عيون جاحظة وأذناب كالسحالي، تستوقفها قائلة:

«احترسي أيتها الصغيرة فيرجينيا، احترسي جيدًا.. فقد لا نراك مرة أخرى..»

إلا أن الشبح تحرك مسرعًا فلم تستمع فيرجينيا إلى ما يقولون. عندما وصلا إلى نهاية الحجرة توقف الشبح متمتمًا بكلمات لم تستطع فهمها، ففتحت عينيها لترى الحائط الموجود أمامها يتبخر كالضباب ويظهر مكانه كهف أسود كبير.. ثم شعرت برياح باردة تلتف حولهما، وشيء ما يسحب ثوبها عنها.. فصاح الشبح:

«أسرعي.. أسرعي وإلا فات الأوان»

وفي لحظة انطبقت خلفهما الحوائط الخشبية وعادت الغرفة فارغة.. موحشة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٦)

لم تمض بعد ذلك عشر دقائق حتى دقَّ الجرس معلنًا عن موعد تناوُل الشاي، وعندما لم تنزل «فيرجينيا» أرسل «السيد أوتيس» أحد الخدم ليخبرها.. لكنه عاد بعد قليل قائلًا إنه لم يجد الآنسة فيرجينا في أي مكان، فرجَّح أنها ربما خرجت -كعادتها كل مساء- لجلب الزهور من الحديقة لوضعها على مائدة العَشاء.

لم تتزعج «السيدة أوتيس» في البداية على الإطلاق، ولكن عندما دقت الساعة السادسة مساء ولم تظهر «فيرجينيا» دق القلق قلبها بقوة، فأرسلت الصبيين للبحث عنها في كل مكان، كما قامت هي و «السيد أوتيس» بنفسيهما بالبحث في جميع غرف القصر.

في السادسة والنصف عاد الصبيان مخبرين الأبوين أنهما لم يعثرا على أثرٍ لفيرجينيا في أي مكان.. وقتها بلغ القلق بداخلهم مداه، ولم يعرفوا ماذا عليهم أن يفعلوا. وفجأة تذكَّر «السيد أوتيس» أنه قد سمح منذ أيام لجماعة من الغجر أن يقيموا في حديقة القصر؛ فتحرك على الفور بصحبة «واشنطن» واثنين من رجال المزرعة إلى حيث يمكث الغجر.

توسل إليه دوق تشاشير الصغير الذي كاد يموت قلقًا على حبيبته «فيرجينيا» بأن يذهب معهم إلا أن السيد أوتيس لم يوافق على الإطلاق خشية عليه من أي شجار محتمل حدوثه.

لكنهم عندما وصلوا إلى حيث خيام الغجر وجودهم قد رحلوا؛ وبدا واضحًا أن رحيلهم حدث سريعًا ومفاجئًا؛ حيث أن بعض النيران كانت ما تزال مشتعلة، وبعض الأطباق ملقاة على العشب.. فقام السيد أوتيس بإرسال «واشنطن» والرجلين للبحث عنها حول أرجاء القصر، أما هو فقد عاد على الفور إلى المنزل وأرسل برقيات إلى جميع مفتشين الأقسام في المدينة مخبرًا إياهم بأنه قد قام جماعة من الغجر باختطاف الصغيرة «فيرجينيا»، ثم أمر بإحضار حصانه في الحال، كما أصر على السيدة أوتيس والصبيين الصغيرين ودوق تشاشير على البقاء وتناوُل العشاء.

ما إن تم إحضار الحصان حتى تحرك في طريقه إلى «سكوت» بصحبة أحد الحوذيين، وبعد مسيرة حوالي ميلين سمع صوت ركض آتيًا من ورائه؛ فنظر ليجد «دوق تشاشير» قد تبعه على مهرته عاري الرأس محتقن الوجه. قال الدوق الصغير لاهثًا

- آسف سيد أوتيس فلم أقدر على تناول عشائي بينما فيرجينيا ما زالت غائبة.. رجاء لا تغضب.. فإن كنت قد وافقت في العام الماضي على خطبتي أنا وفيرجينيا ما كان ليحدث كل ذلك.. والآن لن تأمرني بالعودة أليس كذلك؟ صدقني لا يمكنني أن أفعل.. لن أعود يا سيد أوتيس!

لم يستطع السيد أوتيس إلا أن يبتسم لذلك الدوق الوسيم -رغم حماقة فعله- شاعرًا بمدى إخلاصه تجاه ابنته؛ فنزل من على حصانه وتقدَّم ناحيته ثم ربَّت على كتفيه بحب قائلًا:

- حسنًا.. إن كنت لا تريد العودة فيجب أن تأتي معي إذًا! لكن يجب أن نشتري لك قبعة ما إن نصل إلى «سكوت».

فصاح الدوق الصغير ضاحكًا:

- تبًّا للقبعة، إني أريد فيرجينيا.

ثم ركب كل منهم حصانه راكضين إلى محطة القطار. ما إن وصلوا حتى اتجه السيد أوتيس إلى رئيس المحطة سائلًا إياه إن كان أحدهم قد رأى بنتًا لها مواصفات «فيرجينيا»، ورغم أن الرجل قد أجابه بالنفي إلا أنه طمأنه بأنه سيخبر جميع رجاله بالمواصفات ليتفحصوا كل وجه يمر عليهم علَّهم يجدونها.

ابتاع السيد أوتيس قبعة للدوق الصغير من تاجر كان يهم بإغلاق محله، ثم اتجه إلى «بيكسلي» التي كانت تبعد عنهم حوالي أربعة أميال، فقد كان يعرف جيدًا أنها من القرى التي قد يقصدها الغجر لأنها تناسب طبيعتهم؛ حيث الأرض العشبية التي يمكنهم دق خيامهم بها. عندما وصلوا إلى قرية «بيكسلي» أيقظوا الشرطي الريفي المسؤول هناك، لكنه لم يفدهم بأي شيء.

طافوا جميع نواحي القرية باحثين عن أي دليل يرشدهم إلى مكان الصغيرة، لكنهم لم يعثروا على شيء، فعادوا إلى قصر كانترڤيل في حوالي الحادية عشرة مساء خاليي الوفاض..

عادوا بجسد مجهد وقلب كسير..

كان «واشنطن» والصبيان الصغيران في انتظارهم عند مدخل القصر، ممسكين بمصابيح صغيرة؛ حيث كان تسود المكان عتمة شديدة. لم يعثروا لفيرجينيا على أدنى أثر، وعندما أمسكوا بالغجر مخيمين بمراعي بروكلين لم يجدوا فيرجينيا بصحبتهم وقد فسروا رحيلهم المفاجئ بأنهم قد أخطأوا في حساب يوم احتفالات «شورتون» فغادروا سريعًا خشية أن يتأخروا في الحضور.

في الحقيقة لقد بدا الحزن والمفاجأة على وجوه قبيلة الغجر لدى سماعهم بأمر اختفاء الآنسة «فيرجينيا»، وقد كانوا شاعرين بامتنان شديد للسيد أوتيس لأنه سمح لهم بالبقاء في حديقة قصره، حتى إنهم أرسلوا معه أربعة من رجالهم ليعاونوه في البحث عن الصغيرة أثناء تواجده في «بيكسلي».

قاموا جميعهم بالتفتيش في الغابة والحديقة المحيطة بالقصر، ولكن لم يعثروا على أي شيء.. وبدا واضحًا أن «فيريجينا» مفقودة – اليوم على الأقل- ليعود السيد أوتيس بصحبة الصبية وهم في قمة إحباطهم، بينما يتبعهم السائس وهو يجر الفرسين والمهرة الخاصة بالدوق الصغير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دخلوا إلى بهو القصر ليجدوا جميع الخدم واقفين صامتين وعلى وجوههم الخوف والحزن، بينما استلقت السيدة أوتيس على الأريكة الخاصة بغرفة المكتبة وهي غارقة في حالة من الخوف والقلق، وبجوارها جلست إحدى الخادمات لتمسد لها رأسها بالكولونيا.. علها تهدأ بعض الشيء.

عندما رآها السيد أوتيس أصر على أن تتناول بعض الطعام، ثم أمر بتحضير المائدة للجميع.. وقد كانت وجبة عشاء كئيبة لم يقدر أي أحد خلالها على التفوه ولو بكلمة، حتى التوأم فقد جلسا مكبوتين تملأهما الرهبة والحزن؛ فهما يحبان أختهما حبًّا جامًا.

بعد أن انتهيا من تناول العشاء –وعلى الرغم من توسلات الدوق الصغير- أمر السيد أوتيس الجميع بالخلود إلى النوم؛ فليس هناك ما يمكن فعله اليوم. كما أنه سيقوم في الصباح بمراسلة مقاطعة

إسكتلندا طالبًا بعض المحققين للحضور على الفور.

في طريقهم للخروج من غرفة الطعام كانت الساعة تدق الثانية عشرة منتصف الليل، ومع آخر دقة من دقاتها، سمعوا صوت شيء يسقط تبعه صراخ رهيب كأنه صوت رعد هائل هزَّ أرجاء القصر.. وصوت موسيقى غريبة لا تشبه موسيقى أهل الأرض ينبعث من الأرجاء.. ثم انشق فجأة عند قمة السلم أحد ألواح الحائط الخشبي، لتخرج من خلاله الصغيرة «فيرجينيا» شاحبة الوجه، تمسك في يدها صندوقًا صغيرًا..

اندفعت السيدة أوتيس سريعًا تضمها بقوة، بينما كاد الدوق الصغير أن يخنقها بقبلاته الكثيرة المتلاحقة.. أما التوأم فقد أخذا يرقصان فرحة وهما يدوران في سعادة حول الجميع.

- يا إلهي، أين كنتِ كل هذا الوقت يا فيرجينيا!

قالها السيد أوتيس بنبرة يشوبها بعض الغضب ظنًّا منه أنها كانت تلعب معهم لعبة حمقاء.. وصمت هنيهة ثم تابع:

- لقد خرجتُ أنا «وسيسل» للبحث عنك في جميع أنحاء المدينة، وقد كادت أمك أن تموت قلقًا عليكِ.. يجب ألا تقومي بفعل تلك الخدع الحمقاء مرة أخرى.

- إلا على الشبح.. إلا على الشبح يا فيرجينيا..

قالها التوأم وهما يثبان ضاحكين بسعادة وحماس:

في حين قالت السيدة أوتيس وهي تقبِّل ابنتها المرتعشة، وتمسد شعرها الناعم الذهبي برفق

- حمد الله أنك عدتِ بخير يا صغيرتي، لا تبتعدي عني مرة أخرى يا حبيبتي.

- بابا..

قالتها فيرجينيا في سرعة وحماس متابعة:

- لقد كنت بصحبة الشبح، لقد مات.. يجب أن تأتوا معي لتروه.. أعرف أنه كان شخصًا شريرًا لكن صدقني إنه يشعر بالأسف على كل ما قام به.. وقد أعطاني صندوق المجوهرات هذا قبيل وفاته.

نظر لها الجميع بدهشة شديدة، إلا أنها بدت جادة جدًّا في قولها.. لذا فقد استدارت في اتجاه الفجوة التي خرجت منها ليتبعوها جميعًا وبصحبتهم واشنطن حاملًا شمعة متقدة كان قد وجدها على الطاولة. سارت بهم داخل الفجوة التي قادتهم إلى ممر سري ينتهي بباب كبير مصنوع من خشب البلوط ومرصع بمسامير صدئة.

ما إن لمست فيرجينا الباب حتى انفتح على مصراعيه متأرجحًا، ليجدوا أنفسهم داخل غرفة صغيرة خانقة، ذات سقف محدب منخفض. كانت الحجرة تحتوي على نافذة واحدة مرصعة بأسياخ حديدية، ولكن لم يكن ذلك أكثر ما أثار اندهاش الأسرة، ما أثار اندهاشهم حقًّا تلك الدائرة المعدنية الكبيرة الموجودة بالحائط والتي تمتد منها سلاسل معدنية تقيد هيكلًا عظميًّا هزيلًا ممددًا على الأرض الحجرية وقد بدا وكأنه يحاول الوصول إلى طبق وإبريق وُضِعًا بعيدًا عن متناول يديه العظميتين..

مؤكد أن الإبريق كان يحتوي على الماء إلا أنه جف تمامًا وحل مكانه عفن أخضر، كما أن الطبق – الذي مؤكد كان يحتوي على الطعام- لم يكن به سوى بعض التراب.

ركعت فيرجينيا بجوار الهيكل العظمي وضمت يديها الاثنتين إلى صدرها وأخذت تردد صلوات غير مسموعة، في حين ينظر إليها الجميع باندهاش عظيم من ذلك السر الذي انكشف عنه الستار الآن.

بينما كان الصبيان التوأم يطلان من النافذة الحديدية محاولين معرفة موقع الغرفة من القصر، صاح أحدهما فجأة:

- انظروا.. انظروا إلى شجرة اللوز القديمة، لقد ازدهرت من جديد ويمكنني أن أرى الأزهار الصغيرة بوضوح في نور القمر.

لتهبّ فيرجينيا واقفة وقد أشرق وجهها بنورٍ غريب، قائلة:

- لقد غفرَ الله له!

طوَّق الدوق رقبتها بيديه وقبَّلها قائلًا بحب وسعادة حقيقيين:

- آه يا حبيبتي.. يا لكِ من ملاك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# (٧)

بعد أربعة أيام من هذه الحوادث الغريبة، خرجت الجنازة من قصر كانترڤيل في حوالي الساعة الحادية عشرة مساء. كانت العربة التي تحمل النعش يجرها أربعة خيول سوداء زينت رؤوسهم بخصل من ريش النعام، وكان النعش المصنوع من الرصاص مغطى بكفن أرجواني ثمين بينما نقشت عليه بماء الذهب شارة آل كانترڤيل. سار جميع الخدم حول النعش والعربات حاملين المشاعل.. كان كل شيء بالجنازة رائعًا لدرجة مذهلة.. وقد جاء لورد كانترڤيل من والز خصيصًا ليكون على رأس الجنازة، حيث جلس في العربة الأولى بجوار فيرجينيا.

جلس الوزير «أوتيس» وزوجته في العربة الثانية، و»واشنطن» والدوق الصغير وبصحبتهما التوأم في العربة الثالثة. أما العربة الأخيرة فقد كانت للسيدة «إيمني» حيث رأت أنه من حقها – بعد أن عاشت لأكثر من خمسين عامًا مرتعبة بسبب الشبح- أن ترى نهايته.

عمَّت فناء الكنيسة حالة من الخشوع والحزن العميق. تم حفر مكان التابوت أسفل شجر الطقسوس؛ حيث وقف القس «أوغسطس دامبير» يقرأ قداس الوداع بطريقة رائعة اقشعرت لها الأبدان.

وبعد أن انتهت المراسم، قام الخدم بإطفاء مشاعلهم – حسب تقاليد آل كانترڤيل-. وما إن تم وضع النعش داخل القبر حتى وقفت فيرجينيا بجواره لتلقي عليه صليبًا رائعًا مصنوعًا من أزهار اللوز البيضاء والوردية.

وبمجرد أن ألقت فيرجينيا الصليب ظهر القمر من وراء السحاب ليغمر فناء الكنيسة الصغير بنوره الفضيّ الهادئ.. ثم جاءهم من بعيد صوت العندليب يغني.. وقتها، تذكرت الرقيقة «فيرجينيا» وصفَ الشبح لحديقة الموت، فازداد عمقُ حزنِها واغرورقت عيناها بالدموع، ولزمت الصمت العميق طوال مدة عودتهم إلى القصر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صباح اليوم التالي.. قبل أن يعود لورد كانترڤيل إلى المدينة، تحدَّث مع السيد أوتيس في أمر المجوهرات التي أعطاها الشبح للصغيرة «فيرجينيا»؛ فقد كانت المجوهرات غاية في الجمال والرقي، خاصة ذلك العقد الياقوتي المصنوع على طراز «البندقية» والذي يعتبر بحق نموذجًا رائعًا لأعمال القرن السادس عشر.. كانت قيمة المجوهرات عظيمة لدرجة جعلت السيد أوتيس يشعر بقلق شديد حيال سماحه ل «فيرجينيا» بالاحتفاظ بها.

- عزيزي اللورد، أعرف تمامًا أنكم هنا في هذا البلد تعتبرون أن للمجوهرات قيمة لا تقل أبدًا عن قيمة الأرض حيث لا يمكن التفريط فيها لأحد؛ لذا فأنا أعتقد.. أو إني متأكد من أن هذه المجوهرات يجب أن يؤول ورثها إلى عائلتكم الكريمة.

أرجوك يا عزيزي أن تأخذها معك إلى لندن معتبرًا إياها جزءًا من ممتلكاتك التي قد عادت إليك في ظِل ظروف غامضة.. أما بالنسبة ل «فيرجينيا» فهي ما زالت مجرد طفلة لا تغريها مثل تلك الأشياء الثمينة.

كما أبلغتني «السيدة أوتيس» -التي لا يستهان أبدًا برأيها الفني نظرًا للفترة الطويلة التي قضتها في بوسطن أيام صباها- أن تلك المجوهرات لها قيمة مالية كبيرة جدًّا، وإذا تم عرضها للبيع ستأتي بمبلغ باهظٍ.. وأعتقد أنك ستتفهم مدى استحالة سماحي ببقائهم تحت تصرف أي فرد من أفرد عائلتي..

وفي النهاية، مهما كانت كل تلك المظاهر الزائفة مُهِمَّة بالنسبة للمجتمع الأرستقراطي البريطاني، فهي لن تكون كذلك بالنسبة للمجتمع الذي نشأ على البساطة التي تنادي بها المبادئ الجمهورية الخالدة – الخالدة في رأينا على الأقل-.. ولكن يجب أن أخبرك برغبة «فيرجينيا» في الاحتفاظ بالصندوق نفسه كذكرى من سلفك البائس المسكين، وبما أن الصندوق غاية في القِدَم حتى إنه لا يمكن إصلاحه فأعتقد أنك لن تمانع طلبَها.. ومن ناحيتي أنا، فإني متفاجئ بشدة من إظهار ابنتي اهتمامها بأي أثر ينتمي للعصور الوسطى، ولكن ربما ذلك بسبب ولادتها في إحدى ضواحي لندن حيث تصادفَتْ ولادتها مع عودة أمها من إحدى رحلاتها إلى آثينا.

كان لورد كانترڤيل يستمع إلى حديث السيد الوزير باهتمام شديدٍ، بينما يعبث بشاربه الأبيض بين الحين والآخر محاوِلًا إخفاء ضحكة تنفلت رغمًا عنه.. وعندمَا انتهى «أوتيس» من حديثه، صافحه اللورد بحرارة شديدة قائلًا:

- عزيزي السيد أوتيس، إن ابنتك الرائعة قد أسدت معروفًا كبيرًا لسلفنا البائس «السير سيمون»، وأنا وعائلتي نشعر بامتنان شديد لقوتها، وشجاعتها الكبيرة في فعل ذلك.. إن المجوهرات ملكها هي، وأعتقد أني لست شخصًا سيئًا أو قاسيًا لدرجة تجلعني أنتزعهم منها.

وربما إن فعلت ذلك، قد تفر وقتها الروح الشريرة للسير سيمون لتلحق بي، محوِّلة حياتي إلى جحيم حقيقي!

وفيما يخص مسألة الميراث، فالميراث لا يُعترَف به إلا إذا أثبتته وثيقة قانونية أو غيرها، أما تلك المجوهرات فلم يكن أحد يعلم عنها شيئًا من الأصل؛ لذا فأؤكد لك أن حقي فيها لا يزيد عن حق كبير الخدم في بيتك!

وإني لأجرؤ على القول بأن الآنسة «فيرجينيا» مؤكد ستكون سعيدة حقًّا إذا كان لديها تلك الحلى الرائعة لتتزين بها عندما تكبر. كما أنك نسيت يا سيد أوتيس أنك قد دفعت سعرَ الأثاث والشبح معًا عند شرائك للقصر! لذا فإن أي شيء يخص الشبح فهو يؤول إليك بالفعل.. وأيًّا كان ما كان يفعله في الممر ليلًا فإنه قد مات قانونيًّا منذ زمنٍ وآلت إليك أملاكه بموجب الشراء.

شعر السيد أوتيس ببعض الحزن تجاه رفض اللورد كانترڤيل لاسترداد الصندوق، وقد حاول إثناءه عن قراره لكن اللورد -النبيل طيب القلب- كان حازمًا جدًّا، وفي النهاية استقر الأمر على أن يسمح أوتيس لابنته بالاحتفاظ بهدية الشبح لها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في ربيع ١٩٨٠، تقدمت دوقة تشاشير الشابة لمقابلة الملكة في افتتاح موسم الحفلات بمناسبة زواجها، وقد كانت مجوهراتها محط إعجاب كبير للجميع بلا استثناء.. واستلمت «فيرجينا» إكليل الزهر الذي تُتوَّج به كل فتاة أمريكية صالحة.

تزوجت «فيرجينيا» من الدوق الصغير عندما بلغ سن الرشد، وقد كانا ثنائيًّا ساحرًا يحب كل منهما الآخر حبًّا شديدًا. كان الجميع سعداء بذلك التوافق الكبير بينهما، اللهم إلا الماركيزة العجوز ماركيزة «ديمبلتون» التي حاولت كثيرًا أن تزوِّج الدوق لإحدى بناتها السبع، حتى إنها أقامت من أجل ذلك الغرض ثلاث حفلات كبيرة لكن بالطبع لم تفلح كل خططها. وقد كان «السيد أوتيس» نفسه يحب الدوق كثيرًا، لكنه رغم ذلك اعترض على فكرة استخدام الألقاب في أحاديثهم استنادًا إلى مبادئه الجمهورية البسيطة حيث كان يقول: «لا أريد أن تنخرط ابنتي في ذلك المجتمع البريطاني الأرستقراطي الذي يعتمد على المظاهر الكاذبة، متناسية بساطتها التي نشأت عليها» إلا أنه تم رفض اعتراضه كليًّا.. وإني لشِبه متأكد أنه قد أحسَّ بفخر لا تساعه إنجلترا بطولها وعرضها يوم سار بصحبة ابنته في ممشى كنيسة «سانت جورج» بميدان «هانوفر».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن انتهى شهر عسل الدوقة والدوقة، أقاما في قصر كانترڤيل. وفي اليوم التالي لوصولهما نزلا في فترة الظهيرة للتمشية بين أشجار السنوبر بساحة الكنيسة المهجورة؛ حيث دُفنَ الشبح. وكانا قد قررا كتابة شيء للسير سيمون على شاهد قبره، ورغم أن الأمر كان صعبًا عليهما في البداية، إلا أنهما تغلبا على حزنهما وعزما على كتابة أول حرف من اسم الرجل المهذب العجوز والكلمات المكتوبة على نافذة غرفة المكتبة، على شاهد قبره.

كانت الدوقة «فيرجينيا» قد أحضرت معها بعض الزهور الجميلة فنثرتها على قبره.. وبعد أن وقفا قليلًا بجانبه، سارا للتمشية بين أطلال الكنيسة الخربة. وهناك جلست الدوقة على أحد العواميد المحطمة بينما جلس الدوق تحت قدميها يدخن سيجارًا ويتأمل عينيها الجميلتين. وفجأة رمى سيجارته بعيدًا وأمسك يدها قائلًا:

- اسمعي يا فيرجينيا، أريد أن أخبرك بأنه يجب على الزوجة ألا تخفي عن زوجها شيئًا.

استغربت فيرجينيا لحديثه وأجابته:

- عزيزي سيسل! إني لا أخبئ عنك أي سر!

- بلى، تخفين.. -قالها مبتسمًا- فأنتِ لم تخبريني ماذا حدث بينك وبين الشبح حين كنتما معًا في غرفة النسيج.

ردَّت عليه فيرجينيا بحزن:

- لم يسبق لي أن أخبرت أي أحد يا «سيسيل». - أعرف ذلك، ولكن يمكنك أن تخبريني أنا.

- أرجوك لا تسألني مجددًا.. فأنا مدينة له بالكثير يا «سيسيل».. نعم مدينة له، لا تسخر من ذلك.. فقد علمني معنى الحياة وقيمة الموت.. وعلمني أن الحب أقوى من كليهما..

أومأ الدوق مبتسمًا ثم قبَّلها بحبٍّ قائلًا:

- يمكنك الاحتفاظ بسرِّك ما دمت أحتفظ أنا بقلبك..

- لقد ملكت قلبي دومًا يا سيسل، ولا يمكن أن يكون إلا لك أنت.

- ولكنك ستخبرين أطفالنا عن ذلك السر يومًا ما، أليس كذلك؟

لم تُجب فيرجينيا ولكن خديها أضرجا بحُمرة الخجل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

**(تمت بحمد الله وتوفيقه)**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# أوسكار وايلد:

- وُلد أوسكار وايلد في دبلن/ أيرلندا، عام ١٨٥٤.

- كان أبوه «السير ويليام» أحد أطباء العيون المشهورين، وقد أحدث ثورة في علاج الأذن لتزداد شهرته وقتها. وكانت معروفًا بكونه رجلا خيِّرا بعلاجه للمرضى الفقراء دون مقابل مادي.

- اما والدته «جين إلجي» فقد كانت شاعرة إيرلندية ثورية، وكانت تكتب تحت اسم مستعار «سبيرانزا». وكانت لغويةً ماهرة، إذ ترجمت رواية «سيدونيا الساحر» للغة الإنجليزية، وهي رواية شهيرة للروائي البوميراني ويليهم ماينهولد.

نشأ أوسكار وايلد متأثرًا بشخصية أبيه المحبة للخير وشخصية والدته الثورية.

ربما يعتقد البعض أن «وايلد» قد نسي نشأته الأيرلندية وربما يرجع ذلك إلى كتابته البريطانيه، ولكن على العكس فقد كان معتزًا كثيرًا بتلك النشأة.

- تلقى وايلد تعليمه في منزل والديه قبل أن ينتقل إلى مدرسة «بورتورا الملكية» في «إنيسكيلين» ثم التحق بعد ذلك بكلية ترنيتي في دبلن حيث تعرَّف على الأدب اليوناني الذي كان له تأثير كبير على كتاباته فيما بعد.

- كان وايلد معروفًا بدعمه للحركة الجمالية والذهنية للفن التي تقوم على فكرة أن الفن لا يمكن أن يُخلَق بواسطة أي دافع آخر غير الجمال.

وخلال الفترة التي عاشها «وايلد» في أكسفورد تبنى المذهب الجمالي وتصرف بما يليق به، فقد أطال شعره وصار يرتدي ملابس مزركشة والتصرف بطريقة متكلفة. وقد ذاعت شهرته أكثر بتبنيه لهذا المذهب عندما أعلنها صراحة أمام مجموعة من أصدقائه: «أوه، هل يمكنني الارتقاء إلى اللون الأزرق الصيني!»

وعندما تم الاستهزاء بالجمالية من قِبل ممثلي المسرح الشهيرين «جيلبرت وسولفيان»، قام رجل الأعمال «ريتشارد دي أويلي كارت» باستدعاء «وايلد» لإلقاء سلسلة من المحاضرات تعرِّف بالحركة وتدافع عنها، وبالفعل قام وايلد بإلقاء مجموعة من المحاضرات عبر أميريكا الشمالية طوال عام ١٨٨٢ وقد حققت نجاحًا كبيرًا. بعد التخرج من أكسفورد، انتقل وايلد للعيش في لندن مع صديقه فرانك مايلز، وهو رسّام واقعي شعبي في مجتمع لندن الراقي. واصل هناك التركيز على كتابة الشعر، ونشر أول مجموعة له تحت اسم «قصائد» في عام ١٨٨١.

بعد انتهاء جولته الأمريكية، عاد وايلد إلى دياره وبدأ على الفور جولة محاضرات أخرى في إنجلترا وأيرلندا استمرت حتى منتصف عام ١٨٨٤. من خلال محاضرات، فضلًا عن شِعره المبكر، جعل وايلد من نفسه رائدًا رئيسيًا للحركة الجمالية، وهي نظرية الفن والأدب أكدت على السعي لتحقيق الجمال من أجل الجمال، بدلًا من تعزيز مصلحة أي وجهة نظر سياسية أو اجتماعية.

في عام ١٨٨٨، بعد سبع سنوات من كتابة - قصائد «Poems»، نشر وايلد «The Happy مسرحية الأمير السعيد وغيرها- Prince and Other Tales»، وهي عبارة عن مجموعة من

قصص الأطفال. وفي عام ١٨٩١، نشر «النوايا-Intentions»، وهي عبارة عن مجموعة مقالات تدافع عن مبادئ الجمالية، وفي العام نفسه نشر روايته الأولى والوحيدة «The Picture of Dorian Gray».

الرواية هي قصة تحذيرية عن شاب جميل يدعى دوريان غراي والذي يتمنى (ويحقق أمنيته) أن تُعمِّرَ صورته في حين أنه ما يزال شابًا ويعيش حياة من الخطيئة والمتعة.

على الرغم من أن الرواية تعتبر في وقتنا هذا عملًا كلاسيكيًا عظيمًا، إلا أن النقاد انتقدوها في حينها واعتبروها عملًا غير أخلاقي، ولكن وايلد دافع عنها بشدة وذلك في مقدة الرواية نفسها قائلًا: «التعاطف الأخلاقي عند الفنان هو أسلوب لا يمكن تفسيره»

افتُتِحَت أول مسرحية لوايلد «Lady Windermere›s Fan- مروحة السيدة ويندرمير» في شباط/فبراير ١٨٩٢، ونالت شعبية واسعة النطاق، وحظيت بإشادة نقدية، مما شجع وايلد للاعتماد على أسلوبه الأدبي في كتابة المسرحيات.

وعلى مدى السنوات القليلة المقبلة، أنتج وايلد العديد من المسرحيات الرائعة، التي تتضمن سخرية بارعة من الأخلاق، إلا أنها مع ذلك تحتوي على نبرة جادة مظلمة. وكانت أبرز مسرحياته Lady Windermere›s Fan عام ١٨٩٢، ومسرحية- امرأة بلا أهمية Woman of No Importance عام ١٨٩٣، وThe Importance of Being Earnest- أهمية أن تكون جادًا عام ١٨٩٥.

حياة أوسكار وايلد الشخصية

على الرغم من شهرته بحبه للرجال وعلاقاته معهم إلا أنه كانت له أيضًا علاقات نسائية أخرى، فقد كتب وايلد في أحد الأيام إلى صديقه يقول: «سأخرج للتور لإحضار أجمل فتاة رأيتها في حياتي للعمل بالكاتدرائية في فترة ما بعد الظهيرة. إنها في السابعة عشر فقط، ذات أجمل وجه رأيته على الإطلاق. سأريك صورتها عندما أراك بعد ذلك.»

تزوج وايلد امرأة إنجليزية غنية تدعى كونستانس لويد Constance Lloyd في ٢٩ مايو ١٨٨٤ و أنجبا طفلين هما: «سيريل» المولود في عام ١٨٨٥، و»فيفيان» المولودة في سنة ١٨٨٦.

في الفترة التي حصد فيها وايلد نجاحًا باهرًا لمؤلفاته، بدأ علاقةً مثلية مع شاب يدعى «لورد ألفريد دوغلاس». وفي ١٨ فبراير ١٨٩٥، ترك والد دوغلاس، الذي اشتم رائحة علاقة ابنه مع شاب آخر، بطاقة اتصال في منزل وايلد موجهة إليه بعنوان «اللوطي المحتال».

على الرغم من أن مثلية وايلد كانت أمرًا معروفًا، إلا أنه كان غاضبًا جدًا من ملاحظة كوينسبري، فرفع دعوى قضائية ضده بسبب التشهير، وهذا القرار كان سبب تدمير حياته.

عندما بدأت المحاكمة في شهر مارس، قدم كوينسبري ومحاموه أدلة على مثلية وايلد الجنسية من خلال أعماله الأدبية، ورسائل حبه إلى دوغلاس، والتي أدت بسرعة إلى إبطال قضية التشهير التي رفعها وايلد، واعتقاله بتهمة «البذاءة والفجور».

وهكذا، أُدين وايلد في ٢٥ مايو ١٨٩٥ وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين.

خرج وايلد من السجن في عام ١٨٩٧، وكان مستنزفًا جسديًا وعاطفيًا، ومفلسًا تمامًا، فذهب إلى منفى في فرنسا حيث أقام هناك في فنادق رخيصة وشقق الأصدقاء، وقيل أنَّه اجتمع مع دوغلاس لفترة وجيزة، لم يكتب وايلد الكثير خلال هذه السنوات الأخيرة. عمله الوحيد البارز هو قصيدة أنهاها في عام ١٨٩٨ عن حياته في السجن، واسمها «The Ballad of Reading Gaol».

وفاة أوسكار وايلد

توفي وايلد بسبب التهاب السحايا في ٣٠ نوفمبر ١٩٠٠عن عمر يناهز ٤٦ عامًا. وبعد أكثر من قرن من وفاته، ما يزال وايلد يُذكر بشكل كبير لحياته الشخصية، وشخصيته المذهلة، ولسجنه المشين لمثليته أكثر من ذكره بسبب إنجازاته الأدبية.

ومع ذلك، أعماله البارعة المليئة بالخيال والجمال لا يمكن إنكارها، ولاسيما روايته «The Picture of Dorian Gray» ومسرحية «The Importance of Being Earnest»، واللتان تعتبران من أعظم الأعمال الأدبية في أواخر العصر الفيكتوري>

التزم وايلد خلال حياته كلها التزامًا عميقًا بمبادئ الجمالية، المبادئ التي شرحها من خلال محاضراته وطبقها من خلال أعماله.

كان قد أشيع عن «فولتير» أنه ملحدٌ لا يؤمن بوجود إله، وذلك بسبب أحد الأبيات التي كتبها في كتابه «رسالة إلى مؤلف كتاب: المدعين الثلاثة» يقول فيه « إذا كان الله غير موجود، فسيكون من الضروري أن نختلق نحن واحدًا.»

إلا أنه كان اعتقادًا خاطئًا فقد كان فولتير مؤمنًا حتى إنه قام بشراء كنيسة صغيرة في قريته التي اشتراها في «فيورني».

لعبة قديمة تشبه لعبة البولينج.

شاعر وروائي إنجليزي، ولد في القرن الثامن عشر، وقد اشتهر بكتاباته الرومانسية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

**Group Link – لينك الانضمام الى الجروب**

**Link – لينك القنـــــاة**

الفهرس..

إهداء
(١)
(٢)
(٣)
(٤)
(٥)
(٦)
(٧)
أوسكار وايلد:
الفهرس..